منهاج الإسلام في درء الفتن

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فالدنيا دار ابتلاء وامتحان واختبار قال عز وجل {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ }. وقال تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ } الملك2

قال ابن القيم رحمه الله :« فالعبد في هذه الدار مفتونٌ بشهواته ونفسه الأمارة وشيطانه المغري المزين وقرنائه، وما يراه وما يشاهده مما يعجز صبره عنه، ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين وضعف القلب ومرارة الصبر وذوق حلاوة العاجل وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ، فهو مكلفٌ بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة، لغيبٍ طلب منه الإيمان به .»

ولقد تكاثرت الفتن في هذا الزمان وتعددت ألوانها ، وذلك لأن كثرة الفتن وظهورها من علامات الساعة . ففي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:« يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " قالوا : وما الهرج ؟ قال " القتل» [1]

وفي الآونة الأخيرة ظهرت فتن هوجاء في كثير من مناطق العالم الإسلامي، فأزهقت العديد من الأرواح، وأتلفت الممتلكات، وهدمت صوامع وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله، ودمرت البنى التحتية لبعض البلدان فتراجعت إلى حالتها قبل عقود من الزمان،، وذلك كله بأيدي أناس تجرئوا على الفتن بمحض الاختيار.

والملاحظ لما يحدث اليوم يستوقفه شيئان: أولهما : أن الأحداث التي وقعت –وإن سماها بعضهم "ثورات" – فهي فاقدة لمفهوم الثورة الصحيح، فإن هذه الأحداث تتميز بعدم وجود

---

(1) رواه البخاري رقم 7061 ومسلم برقم 157

قائد لها، ولا خطة مرسومة، فهي كالجمل الهائج الذي لا زمام له ولا خطـــام، فالتســـمية الصحيحة لها أنها **فتن**.

ثانيهما : انحصار الأحداث في العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة، مما يستدعي وقفة تأمل جادة لتلمس أسبابها، واستجلاء حقيقة ما يحدث ، واستخلاص الحلول الناجعة لهذه الأزمات، انطلاقاً من هدي الإسلام وشريعته الغراء.

ورابطة العالم الإسلامي باعتبارها الجهة الإسلامية العالمية التي تمثل الشعوب المسلمة فهي الأحق بدعوة علماء الأمة ومفكريها ومثقفيها للبحث عن مخرج آمن من هذه الأحداث الخطيرة التي تعصف بالأمة وتهدد كيانها ومقدراتها .

فجاء هذا المؤتمر بعنوانه الرئيس "العالم الإسلامي .. المشكلات والحلول" ليتناسب مع طموحات الأمة وتوقعاتها من رابطتها..

وأما مشاركتي فتأتي في المحور الثالث "الحلول" بعنوان : **منهاج الإسلام في درء الفتن**.

وذلك حسب خطةٍ موضوعيةٍ مرسومةٍ اقتضت تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : **تعريف المنهاج والفتن لغة واصطلاحا.**

المبحث الثاني : **سمات الفتن.**

المبحث الثالث : **منهاج الإسلام في التعامل مع الفتن .**

المبحث الأول

تعريف المنهاج والفتن لغة واصطلاحا وتحته مطلبان :

المطلب الأول : تعريف المنهاج.

المنهاج والمنهج في أصل الوضع يعني الطريق الواضح،[1] ومنه قول الباري عز وجل: { لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} المائدة48

وأما المنهاج في الاصطلاح فيعني: الأساليب والخطوات والسبل وما جاء في معناها، وعليه يكون منهاج الإسلام في درء الفتن : *الخطوات والأساليب التي سلكها الإسلام للوقاية من الفتن، والتعامل معها بعد وقوعها..*

المطلب الثاني : تعريف الفتن.

أولا: تعريف الفتن لغة: فالفتن جمع "فتنة"، قال ابن فارس : الفاء والتاء والنون أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار. [2]

ومنه قول الشاعر: **بليت وفقدان الحبيب بليَّةٌ * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر** [3]

فالبلاء هنا بمعنى الفتنة سواء بسواء..

وقال الجوهري: تقول فتنتُ الذهب إذا أدخلته النار، لتنظر جودته ، وهو مفتون وفتين.[4] ويسمى الصائغ الفتَّان لإذابته الذهب والفضة في النار. [5]

وفُتن الرجل فهو مفتون إذا أصابته عارضة محبة، أو عاهة، فذهب عقله من شدة المحبة أو من الجنون. وقال في القاموس: المفتون المجنون. [6] وقول الشاعر:

رخيم الكلام قطيع القيام * وأمسى فؤادي بها فاتنا [7]

---

(1) انظر معجم مقاييس اللغة ، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب (مادة نهج)

(2) (معجم مقاييس اللغة مادة (فتن) القاهرة/ مكتبة الخانجي/ الطبعة 3 تحقيق عبد السلام هارون)

(3) (معجم مقاييس اللغة مادة بلو)

(4) (الصحاح 2175/6 مادة فتن) /بيروت/ دار العلم للملايين/ تحقيق أحمد عبد الغفور عطار

(5) (تاج العروس من جواهر القاموس/ لمحمد مرتضى الزبيدي/ بيروت/ مكتبة دار الحياة

(6) (القاموس المحيط للفيروزأبادي/1575 مادة فتن /ط7 /مؤسسة الرسالة/ 1410هـ)

(7) (لسان العرب، لابن منظور، 318/13 مادة فتن، /ط بيروت /دار الفكر/1410هـ

وقال عبد الرحمن بن الحارث الهمداني المعروف بأعشى همدان:

لئن فتنتني فهي بالأمس أفتنت * سعيدا فأمسى قد قلا كلَّ مسلم [1]

فتلخص من هذا أن الفتنة في اللغة العربية تطلق ويراد بها عدد من المعاني، ومنها :

1. الامتحان والاختبار والابتلاء، وهو الأصل في الباب.
2. التحريق بالنار، ومنه: (فتنت الذهب والفضة): إذا حرقتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد، وهو أيضا من الاختبار.
3. الإعجاب وشدة المحبة والولع .
4. الجنون.
5. وتأتي الفتنة لمعان أخرى كالفضيحة، والكفر، والإثم.

تلك بعض المعاني التي فسر بها العرب "الفتنة" في لسانهم، إلا أن المعنى الأول وهو (الابتلاء) هو جماع تلك المعاني كلها، كما صرح بذلك الأزهري [2] وابن منظور [3] رحمهما الله تعالى، وكما صرح به غيرهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أصل الفتنة الاختبار ، ثم استعملت فيما أخرجته الفتنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه، أو آيل إليه، كالكفر، والإثم ، والتحريق والفضيحة،والفجور ، وغير ذلك.» [4]

ثانيا: تعريف الفتنة اصطلاحا.

مفهوم الفتنة الذي يتناسب مع هذا البحث هو: *الوقائع والأحداث العامة والخاصة التي يجريها الله على عباده على وجه الحكمة ابتلاء وامتحانا.* [5]

وعلى هذا المعنى يتحدد مقصود البحث، وقطبه الأساس الذي عليه تدور رحى مباحثه.

---

(1) (ديوان أعشى همدان ص162)

(2) انظر: الصحاح للجوهري 223/2 مادة "فتن".

(3) انظر: لسان العرب 317/13 مادة "فتن".

(4) (فتح الباري 11/2، 5/13)

(5) (انظر نحوه في : الفتنة وموقف المسلم منها لمحمد بن عبد الوهاب العقيل، / الجامعة الإسلامية بالمدينة /ط1/ 1429هـ/2008م)

المبحث الثاني

سمات الفتن

من صور الفتن فتنٌ تحيط بالمجتمع فتصيب مختلف الشرائح والطبقات ، ويمتد خطرها ليهدد منظومة القيم والأخلاق في المجتمع ، حتى بات يخشى على البعض أن يصدق عليهم قول النبي ﷺ الذي ورد في الحديث الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه:« إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافراً القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي قالوا فما تأمرنا؟ قال :كونوا أحلاس بيوتكم » [1] ومن سمات هذه الفتن وأنواعها:

1- ازدياد الشر بمرور الزمن من ذهاب الصالحين وفقد العلماء الربانيين ورفع العلم وظهور البدع . ففي حديث الزبير بن عدي عندما شكوا إلى أنس بن مالك رضي الله عنه ما يلقون من الحجاج، قال أنس رضي الله عنه:" ما من عام إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم" ، سمعته من نبيكم ﷺ [2] . وعن الحسن قال : كانوا يقولون موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار .[3]

2- كثرة القتل وفشو الفساد بما كسبت أيدي الناس.

فقد جاء في الصحيحين من حديث أنس مرفوعا: « يتقارب الزمان ، ويقبض العلم ، وتظهر الفتن ، ويلقى الشح ، ويكثر الهرج " قالوا : وما الهرج ؟ قال " القتل » [4]

ومن أعجب ما سمعت من القنوات الفضائية ما تفوه به عالم ذو منصب كبير في "تجمع إسلامي ذي وزن عالمي" حيث قال : إن القتل ليس من الفتنة بدليل قوله تعالى :{ والفتنة أشد من القتل} فذكر أن الفتنة هي الشرك فقط..! ولست أدري ما قوله في هذا الحديث، الصريح في فتنة القتل؟

---

(1) أخرجه أبو داود بإسناد صحيح .

(2) رواه الترمذي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 1218

(3) صحيح عن الحسن ، ورواه البزار عن عائشة رضي الله عنها مرفوع بسند قال عنه الألباني: موضوع (ضعيف الجامع 5894)

(4) تقدم تخريجه قبل قليل.

3- فتنة المال : عن كعب بن عياض رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:«إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتي المال » [1]

وقال ﷺ :« فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم ». [2]

وتتجلى فتنة المال في صور عدة ، منها :

أ- المكاثرة فيه بحيث لا يقف الإنسان عند حد فهو يطلب المزيد دائماً. قال ﷺ : « لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » [3]

ب- ومنها قلة التحرز من المكاسب المحرمة التي يحمله عليها حب المال ومجاراة الناس والجهل بما يحل ويحرم من المكاسب ،عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« ليأتين على الناس زمان ، لا يبالي المرء بما أخذ المال ، أمن حلال أم من حرام » [4]

ج- ومنها منع الحقوق الواجبة في المال من الزكاة وغيرها .

4 - ومن الفتن ، فتن الشهوات ، بسبب الهجمة الإعلامية الشرسة والخطة الممنهجة التي تنفذها مئات القنوات الإعلامية مدعومة بإسناد صحفي لإفساد منظومة القيم في المجتمع ، بالصور الفاتنة والبرامج المفسدة لمن يهوى التسلية ، والأغنية الهابطة لمن يهوى الاستماع ، والتمثيليات الساقطة التي تزين الفاحشة والعنف في النفوس، فالقنوات الفضائية مكنت المفسدين والمفسدات من التسلل إلى بيوت المسلمين دون استئذان ، ثم جاءت شبكات الإنترنت الإباحية لتكمل الدور الذي فات القنوات ، حيث بلغ عدد المواقع الإباحية على هذه الشبكة أكثر من 3 ملايين موقع يدخلها أكثر من 90% من المستخدمين الشباب.

5 – ومن الفتن التي تهدد المجتمع ، فتنة النساء، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » [5] وعن أبي سعيد

---

(1) رواه الإمام أحمد والترمذي بإسناد صحيح على شرط مسلم.

(2) رواه البخاري برقم (6425) ومسلم برقم (2961)

(3) رواه البخاري برقم (6439) ومسلم برقم (1048)

(4) رواه الإمام البخاري برقم (2059) ورقم (2083)

(5) رواه البخاري برقم (5096) ومسلم برقم (2740)

الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء،فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ».[1]

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن.» [2]

6– ومن الفتن ، فتنة التغريب والعلمنة من خلال :

- ✓ الطعن في الثوابت .
- ✓ خلخلة وحدة المجتمع وانسجامه العقدي .
- ✓ اتهام العلماء والدعوة بتفريخ الإرهاب .
- ✓ تبجيل الغرب والثناء على المدارس الفكرية الوضعية .

ويتولى كبر بعض ما سبق من الفتن شرذمةٌ يغلفون دعواهم بالإصلاح ، لكنها دعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.(دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها")

7– ومن الفتن التي تواجه المجتمع ، فتنة التكفير العشوائي، والتي أدت إلى :

- ✓ استحلال دماء الأبرياء التي حرمها الله إلا بالحق .
- ✓ تكفير المجتمع وولاة الأمر وحث العامة على الخروج في الشوارع باسم "مظاهرات سلمية."
- ✓ التفجير والتخريب واستهداف الأنفس والممتلكات .
- ✓ تشويه صورة الإسلام في الغرب وغيره ، مما أعطى أعداء الإسلام ذرائع جديدة لاتهام الإسلام بالإرهاب وتبرير ما يرتكبونه من فظائع في فلسطين والعراق وأفغانستان وغيرها
- ✓ إعطاء الذريعة للمتربصين بالدعوة في الداخل الإسلامي لكي يهاجموا العلماء والدعاة والمؤسسات الخيرية والدعوية .
- ✓ إضعاف الأمة بجر الشباب إلى الفتنة وجعلهم وقوداً لتنفيذ مخططات مشبوهة .

8– ومن الفتن التي تهدد المجتمع : فتنة العولمة بسبب الغزو الفكري ، والاستلاب الثقافي الذي أصاب كثيراً من الشباب ، لصرفهم عن دينهم ومسخ هويتهم وتغيير انتماءاتهم .

---

(1) رواه الإمام مسلم برقم (2742)

(2) رواه أحمد بسند رجاله ثقات.

وتؤكد الدراسات أن ثمت سببين وراء استهداف المسلمين بهذا الغزو ، هما :

أ – ما تملكه بلادهم من مواد أولية هائلة يأتي على رأسها النفط والغاز وثروات أخرى.

ب – ما ثبت عبر التاريخ الطويل أن هذه الأمة مستعصية على الهزيمة، إذا حافظت على هويتها الإسلامية، ومن ثم فالطريق الوحيد لإخضاعها يتمثل في القضاء على تفرد شخصيتها وإلغاء دينها الذي يبعث فيها العزة والرفض لكل أشكال الاحتلال والسيطرة .

المبحث الثالث

المناهج التي سلكها الإسلام في درء الفتن، وتحته مطلبان:

المطلب الأول : المنهاج الوقائي ، وله فروع ، منها:

أولا: التحذير من الفتن .

ولخطورة الفتن ، فقد حذر الله منها الأمة فقال تعالى {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }الأنفال25. قال ابن كثير رحمه الله :« هذه الآية وإن كان المخاطب بها هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنها عامة لكل مسلم ، لأن النبي ﷺ كان يحذِّر من الفتن.» [1]

فالنبي ﷺ كان يحذر الأمة من الفتن أشد التحذير ، قال البخاري رحمه الله: « بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } وَمَا كَانَ ﷺ يُحَذِّرُ مِنْ الْفِتَنِ.» [2]

ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة أنه قال : دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جالس في ظل الكعبة والناس مجتمعون عليه ، فأتيتهم فجلست إليه فقال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه ومنا من ينتضل [3]، ومنا من هو في جشَره [1]، إذ نادى منادي رسول الله

---

(1) تفسير القرآن العظيم: في تفسير هذه الآية.

(2) كتاب الفتن – الباب المذكور.

(3) (قال النووي : هو من المناضلة وهي المراماة بالنشاب)

ﷺ : الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم ، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتن فيرقق بعضها بعضاً وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة فيقول هذه هذه ، فمن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر. » [2]

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « تعرض الفتن كالحصير عوداً عوداً فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى يصير على قلبين: على أبيض مثل الصفاء فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه.» [3].

والمعنى أنه أصبح من وَلَعِهِ بالفتن كالكوز المكبوب على وجهه الْمُنَكَّس على فوهته لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرِبَ من هواه .

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:« تعوذوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن.» [4]

والنصوص الشرعية كثيرة في هذا الباب، وخلاصة الكلام أنه يجب على المسلم أن يكون على حذر من الفتن وموجباتها وأسبابها.

ثانيا: حفظ عامة الناس من الشائعات:

من المعلوم أن من المفاسد العظيمة السماح للعوام بسماع الشائعات ، وكثرة القيل والقال، والخوض في المسائل الخاصة المتعلقة بمصير الأمة، كمسائل الإمارة، والحرب والسلم مما يرجع فيه إلى أهل العلم وأهل الخبرة في تقدير مصالح الأمة.

قال تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى

---

(1) قال النووي: "وهي الدواب التي ترعى وتبيت مكانها "

(2) صحيح مسلم برقم (1844)

(3) رواه مسلم برقم (144)

(4) رواه مسلم برقم (2867)

أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً }النساء83

فالأخبار والمسائل الخاصة لا يجوز للعامة أن يخوضوا فيها بل تترك لمن يدرك غورها من أهل الفهم والاستنباط، قال ابن كثير رحمه الله : « ويذكر هاهنا حديث عمر بن الخطاب حين بلغه أن رسول الله ﷺ طَلَّق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: "لا". قال عمر: فقلت: الله أكبر . وذكر الحديث بطوله.

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: "لا" فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه. ونزلت هذه الآية: { وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ } فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر.» [1]

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " كنت أقرئ رجالا من المهاجرين ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى ، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، إذ رجع إليَّ عبدُ الرحمن فقال : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان ؟ يقول : لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا ، فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ، ثم قال : إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس ، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير ، وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة ، فإنها دار الهجرة والسنة ، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكنا ، فيعي أهل العلم مقالتك ، ويضعونها على مواضعها . فقال عمر : والله – إن شاء الله – لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة.» [2]

---

(1) رواه البخاري برقم (5191) ومسلم برقم (1341)

(2) رواه البخاري برقم (6830)

هذا خبر عظيم يعلّم الواقف عليه طرفا من فقه الصحابة رضوان الله عليهم في التعامل مع الأحداث العظام التي لا تصلح للعوام، فقد ذكر هنا عبد الرحمن بن عوف قواعد وتوجيهات غالية، منها:

1 أن لكل مقام مقال ، ومقام تجمهر الناس كموسم الحج يختار له الخطاب اللائق فإنه مقام يجمع رعاع الناس وغوغاءهم.

2 وغالبا عندما يدلي الأمير بتصريحاته بكون أحرص الناس على الاقتراب منه هم العوام لرغبتهم الشديدة في نشر الأخبار، وهذا شأن معظم رجال الصحافة اليوم حيث ينقلون من الأخبار عبر وسائلهم المختلفة ما لا يصلح للنشر لكونه حاملا في طياته قنابل موقوتة، وفتنا مهلكة، لا يدركون خطورتها، والعواقب الوخيمة المرتبة على نشرها.

3 أن البيئة التي يغلب على أهلها العلم الشرعي والتمسك بالسنة هي أبعد عن التأثر بالفتن المضلة.

والمشاهَد في زماننا عكس هذا تماما؛ فإن كثيرا ممن يزعم الإصلاح في هذا الزمان يتكلم بكل شيء في كل مكان دون تمييز، ودون نظر وفقه لعواقب الأمور، فما يكاد أحدهم يسمع خبرا ولاسيما من الأخبار المتعلقة بمصالح الأمة العليا، وأحوال أولياء الأمور من العلماء والأمراء، إلا وطار به، ينشره في كل واد ومجال متاح: في الإذاعة، أو القنوات الفضائية، أو الإنترنت ، أو عن طريق المجالس الخاصة، دون أدنى تثبت أو نظر في مصلحة نشر مثله، جاهلا أن أعداء الأمة المتربصين يفرحون بمثل هذه الأخبار التي تعكر على صفو المجتمعات الإسلامية.[1]

يقول ابن مسعود رضي الله عنه :« ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة.» [2]

يقول الشاطبي رحمه الله مبيناً الضابط في عرض المسائل الشرعية: « وضابطه أنك تعرض مسألتك على الشريعة، فإن صحّت في ميزانها، فانظر في مآلها بالنسبة إلى حال الزمان وأهله، فإن لم يؤدِّ ذكرها إلى مفسدة فاعرضها في ذهنك على العقول، فإن قبلتها فلك أن تتكلم

---

(1) انظر هنا للمزيد :الفتنة وموقف المسلم منها ، للدكتور محمد بن عبد الوهاب العقيل، ص 87

(2) رواه مسلم في مقدمة صحيحه برقم (5)

فيها... أما إن لم يكن لمسألتك هذا المساغ فالسكوت عنها هو الجاري على وفقِ المصلحة الشرعية والعقلية.» [1]

ثالثا: بسط العدل ورفع الظلم عن الأمة.

العدل عبارة عن إيصال الحق إلى صاحبه من أقرب الطرق،[2] وهذا التعريف يتضمن ركنين:

الأول: ضرورة إيصال الحق إلى صاحبه، صغيرا كان أم كبيرا، وجيها أم وضيعا، قويا أم ضعيفا، قريبا أم بعيدا.

الثاني: إيصال الحق إلى صاحبه دون تأخير، أو مماطلة، بل يلزم الحاكم والقاضي سلوك أقرب سبيل لإيصال الحق إلى مستحقه، ومتى تعددت سبل الإيصال وجب سلوك أقربها.

وأي خلل يعتري هذين الركنين يعني الظلم المنافي للعدل..

هذا: وجاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة دالة على فضل الحكم بالعدل، وحتميته، وعلى النهي عن الظلم صغيره وكبيره، ومن ذلك قوله تعالى:{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً }النساء58

وهذه الآية الكريمة صريحة في الأمر بإقامة العدل بين الناس :{ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ)، كما أن الله تعالى أثنى على الحكم بين الناس بالعدل بقوله: {إن الله نعمَّا يعظكم به}، فالخير كله في عدل الشرع، وشر كله في مخالفة ذلك.

ومثله قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }النحل90

ومن ذلك قوله ﷺ : « سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه ، ورجل قلبه معلق في المسجد ، ورجلان تحابا في الله ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه.» [3] فبدأ بالإمام العادل.

---

(1) انظر: (الموافقات 4 / 191)

(2) انظر تفسير المنار عند تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ...الآية}

(3) رواه البخاري برقم (6806) ومسلم برقم (1031) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن النبي ﷺ فيما رويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما . فلا تظالموا.» [1] ولو ذهبنا نتتبع النصوص الواردة في هذا الباب، أو حاولنا حصر التطبيقات الرائعة لمفاهيم العدالة في عصر النبوة والخلفاء لأتينا بالكثير وما وفينا الموضوع حقه.

فعن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ :« أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطعت يدها.» [2]

وهذا الخليفة العادل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه المضروب به المثل في العدل تقرقر بطنه من الجوع و هو على المنبر يخاطب بطنه قائلا: " قرقري أو لا تقرقري فو الله لا تشبعي حتى يشبع آخر طفل من أطفال المسلمين." [3] وفي ذلك يقول الشاعر:[4]

جوع الخليفة والدنيا بقبضته * في الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يباري أبا حفص وسيرته * أو من يحاول للفاروق تشبيها
كذاك أخلاقه كانت وما عُهدت * بعد النبوة أخلاق تحاكيها

ورغم أن العدل أمر فطري يجمع عليه جميع العقلاء بغض النظر عن معتقداتهم وأديانهم، وعاداتهم، وتقاليدهم إلا أنه لا يوجد عدل كامل من جميع الجوانب إلا في رحاب الإسلام ؛ لأن العدل المطلق لا يتحقق، إلا بجعل السيادة لشريعة الله، وبدون ذلك لا يتحقق عدل كامل، ولا يقوم حق، ولا تنهض أمة، ولا تنتصر؛ لأن الحياة الراقية السامية المتصفة بالقيم الأخلاقية والآداب الرفيعة، لا يمكن أن توجد إلا في ظل الإسلام، وما ذاقت الأمة الإسلامية طعم العدل والنهضة إلا في ظل الدولة الإسلامية التي أرست قواعد العدل وأعطى كل ذي

---

(1) رواه مسلم برقم (2577) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(2) رواه مسلم برقم (1688)

(3) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي 161 .

(4) هو حافظ إبراهيم وأنشد هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف، بالقاهرة مساء يوم الجمعة 8 فبراير/ سنة 1918م، وتبلغ القصيدة 185 بيتا.

حق حقه، وهذه الحقيقة شهد لها التاريخ قديما وحديثا، وما تحررت أوروبا من طغيان الكنيسة والإقطاع والمِلْكية المطلقة الظالمة إلا بعد أن تسربت إليها بعض النظم الإسلامية المتعلقة بالقانون، ومسؤولية الحكام ومحاسبتهم، ونبذ الكهنوت وتقديس الأحبار والرهبان.

وما نزلت الأمة الإسلامية عن تلك المرتبة الرفيعة إلا بجور كثير من الناس وانحرافهم عن تطبيق شريعة الله في الأرض، فأذاقوا الأمة الذل والهزيمة والانحطاط وسيطرة أعدائها المستعمرين، مما أوقع المسلمين تحت نير النظام العلماني الذي قام على فصل الدين عن واقع الحياة. {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ }المائدة50

وعلى هذا يلزم حكام المسلمين وقضاتهم أن يحكموا شرع الله في كل صغيرة وكبيرة من حياة شعوبهم، في الأنفس، والأموال، والدماء، والفروج، وأن يعملوا على رفع الظلم الواقع في الأمة بسبب الإعراض عن التحاكم إلى الشرع، وأن يسمحوا للأمة بالتعبير عن آرائهم تحت سقف الضوابط الشرعية، وذلك من أنفع الأسباب الواقية من الفتن؛ لأن العدل صمام أمان يضمن للدولة القوة والغلبة، وذلك من السنن الربانية ولن تجد لسنة الله تبديلا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فَإِنَّ النَّاسَ لَمْ يَتَنَازَعُوا فِي أَنَّ عَاقِبَةَ الظُّلْمِ وَخِيمَةٌ وَعَاقِبَة الْعَدْلِ كَرِيمَةٌ، وَلِهَذَا يُرْوَى: اللَّهُ يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الْعَادِلَةَ وَإِنْ كَانَتْ كَافِرَةً، وَلا يَنْصُرُ الدَّوْلَةَ الظَّالِمَةَ وَإِنْ كَانَتْ مُؤْمِنَةً .» [1]

رابعا : رعاية حقوق العلماء الربانيين.

لقد حدثت في التاريخ الإسلامي على مر الزمن حوادثُ وفتنٌ كادت تعصف بالأمة لولا رحمة الله عز وجل ولطفه، ثم حكمة العلماء الربانيين وسعيهم لترع فتيل الفوضى والدمار بسبب الخلاف والتنافر بين الراعي والرعية، والأمة لا تستغني عن هؤلاء العلماء الربانيين بأي حال من الأحوال؛ إذ بإرشاداتهم يسترشدون، ومن خبرتهم وحكمتهم ينطلقون .. فالعالم الرباني – كما يقول العلماء- هو الذي يربي على صغار المسائل قبل كبارها، وهذا يعني الوصف بالحكمة في أكثر معانيها عمقا، ويضيف إلى هذه الصفة أوصافا أخرى أهمها:

(1) مجموع الفتاوى 63/28.

1. الاعتصام بالكتاب والسنة عقيدة وعبادة وسلوكا.
2. الاقتداء بالصحابة في فهم الدين، والعمل به.
3. الابتعاد عن الابتداع في الدين ، أو الإيمان بالخرافات والخزعبلات الملصقة به.
4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون أن يخاف في سبيله لومة لائم.
5. التزام الحكمة في الدعوة والنصيحة والحرص على جمع كلمة المسلمين على الحق.
6. ومن صفاتهم أن الله يكتب لهم القبول في الأرض ، فكلمتهم مسموعة ،وأوامرهم مطاعة لدى العامة والخاصة؛ لأنهم لا يأمرون بشيء من عند أنفسهم دون مرجعية الشرع الحنيف.. فوجودهم في أي مجتمع عامل وقاية يكبح جماح المُفرطين، ويشد من أزر الضعفاء والمفرّطين ليلحقوا بركب الساعين إلى الخير والهدى والنور.. ومما لاشك فيه أن السبب المباشر والمقدمة الأساسية التي مهدت لكل ما يحدث الآن، هو:

أننا منذ فترة ليست قصيرة شاهدنا كيف تضافرت جهود المناوئين للإسلام ولدعوته الخالصة من الشوائب ، والمنهج النبوي القويم، على عمل موحد هادف إلى إسقاط مكانة علماء الأمة، ومكانة مؤسساتها العلمية والدعوية، في أعين الناس وولائهم، شارك في هذا الإسقاط العالمي كتائب العلمنة، وفلول الليبرالية، وبعض الأقلام المأجورة ممن قد ينتسبون إلى الإسلام، فسعى الجميع سعيا حثيثا موحدا لإسقاط العلماء وتهميشهم ، لإدراكهم أن العلماء هم صمام الأمان الذي يحبط ويفشل ما يخططون له من إفساد وتغريب وقتل وتخريب،وإذا أسقط العلماء خلت الساحة أمامهم لبث أفكارهم وسمومهم، وسعوا كذلك للحيلولة دون وجود مرجعية لأهل السنة تحظى باحترام الجميع، ويسمع كلمتها القاصي والداني، ولا يجرؤ على مخالفة توجيهاتها إلا مبتدع ظهرت بدعته، أو منحرف شاع بين الناس انحرافه،، مستخدمين شتى الوسائل وخاصة وسائل الإعلام من مقروء ومسموع ومشاهد لتنفيذ مخططاتهم القذرة .

وساعدت على ذلك الحرب الشرسة التي قادها الغرب تحت مسمى مكافحة الإرهاب، وهي حرب جاوزت أضرارها الإرهابيين ونالت كل العاملين للدعوة الإسلامية السنية بشكل أو بآخر، من غير استثناء.

هذا: ونتج عن إقصاء علماء الأمة ومؤسساتها الكبرى نتائج مدمرة أدت إلى أحوال في غاية الخطورة ، ولعل من أبرزها:

1. تخويف الحكومات من الدعاة والعلماء فوُضعوا – في كثير من البلدان- تحت المراقبة والتضييق، بل والسجن والتشريد، والقتل، وكثيرا ما تعمل وسائل الإعلام على تشويه صورتهم والتقليص من أثرهم والتقليل من شعبيتهم.
2. إسقاط كثير من الهيئات والمراكز الإسلامية ذات الصبغة المرجعية عن مكانتها وهيبتها.
3. فقدان معظم الحكام ذاك العالم الرباني الناصح الذي يأخذ بيد الحاكم ناصحا ومرشدا،آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، بعيدا عن الأغراض والمزايدات ، مقدما مصالح الأمة على المصلحة الشخصية.. وقد كان للعلماء الربانيين أثر بالغ في نصح الحكام وتهدئتهم، فيعودون إلى رشدهم، فتندفع بذلك فتن كثيرة: فلما أراد الخليفة المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربه مع محمد بن عبد الله بن حسن، قال له العالم الرباني جعفر بن محمد رحمه الله: "يا أمير المؤمنين، إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب أبتلي فصبر، وإن يوسف قدر فغفر، وقد جعلك الله عز وجل من نسل الذين يعفون ويصفحون، فطفئ غضبه وسكت وقال: لولا هذه النصيحة لأطبقت عليهم." (1)
4. انكماش دور العلماء في ضبط المجتمع والسعي لإخماد فتن العامة، وذلك إما لفقدانهم الشعبية بفعل المناوئين، وإما لامتناعهم عن التدخل فيما يحدث وإن كان وراءهم أممٌ من الناس يسمعون لهم ويطيعون؛ لأنهم أوذوا فقابلوا الأذى بالتفرج على ما يحدث للأنظمة.
5. تحول بعض العلماء عن المنهج الوسط إلى الإفراط والغلو لاعتقادهم أنهم ظلموا ومن حق المظلوم أن يأخذ بيد الظالم، أو إلى التفريط والمداهنة وترك الدعوة، وقد يرجع بعضهم إلى انحرافات طالما دعا إلى محاربتها.
6. تجرؤ الشباب على الدعاة والتقليل من شأنهم، وفي مقابل ذلك الاعتداد بأنفسهم وعدم السماع من أحد ، ومن ثم الإقدام على خوض المخاطر والفتن دون أخذ بنصيحة ناصح، أو استرشاد بإرشاد مرشد، وسمعنا من المتظاهرين في مصر ما يؤكد بُعد الناس

---

(1) رواه ابن ابي الدنيا في الفرج بعد الشدة 76/1، وأبو حاتم في روضة العقلاء ونزهة الفضلاء 103/1 الشاملة ، وهو في الآداب الشرعية لابن مفلح 248/1

عن الأخذ بتوجيهات أهل العلم، كشعار " عاش الهلال مع الصليب" الذي رفعت به الألوية والأصوات..في الميدان! كما أن عددا من شباب المسلمين أقدموا على إحراق أنفسهم، وهو انتحار لا مسوغ له في الإسلام، وكثرة الفتن والقتل مقرونة بقلة العلم كما جاء في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :« لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ وَهُوَ الْقَتْلُ الْقَتْلُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمْ الْمَالُ فَيَفِيضَ» [1]

قال العلامة الشيخ محمد بن عثيمين – رحمه الله –: "... وهذه المسألة من أخطر ما يكون على العامة وعلى ولاة الأمور وعلى الجميع؛ لأن الناس إذا شحنت قلوبهم ببغض ولي الأمر فسدوا وصاروا يتمردون على أمره ويخالفونه، ويرون الحسنة منه سيئة وينشرون السيئات ويخفون الحسنات، وإذا زيد على ذلك التقليل من شأن العلماء فسد الدين أيضا، فتمردُ الناس على الأمراء اختلالٌ للأمن، وتمرُّدُ الناس على العلماء فسادٌ للشريعة؛ لأن الناس إذا لم يثقوا بعلمائهم بشريعة الله فبمن إذاً يثقون؟ بالجهال؟! أو كل واحد من الناس سيركب رأسه ويفتي نفسه بنفسه، وهذا لا يستقيم."[2]

نعم إنَّ فقد المجتمع العالَمَ الناصح لولي الأمر مصيبةٌ كبيرة، كما أن إعراض الحاكم عن قبول نصيحة العالم مصيبة أخرى، لكن النصيحة يجب أن تكون حسب قواعد الشريعة لا سيما إذا كان من توجه له صاحب سلطان، وإن مما ميَّز أهل السنة والجماعة عن أهل البدعة والفرقة : أنهم ينصحون لمن ولاَّه الله أمرهم ويكثرون الدعاء له ، حتى ولو رأوا ما يكرهون ، فإنهم يكثرون الدعاء وينصحون نصح من لا يريد جزاء ولا شكوراً، والمناصحة لا تكون علانية على الملأ : قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم رضي الله عنهما : ألم تسمع قول رسول الله ﷺ :« من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبْدِه علانية ، ولكن ليأخذ بيده ، ثم ليخلُ به فإن قبل منه فذاك ، وإلا فإنه أدى الذي عليه .» [3]

---

(1) رواه البخاري برقم (85) ومسلم برقم (157)

(2) لقاء الباب المفتوح.

(3) حديث صحيح رواه أحمد وابن أبي عاصم والحاكم والبيهقي وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (1096)

7. افتقار الأمة إلى قيادات علمية تأخذ بزمام المبادرة فيهم، فتحولت المبادرة إلى العامة والدهماء، والغوغائيين ، الذين لا ينتظر منهم تقدير المآلات، ولا المقارنة بين المصالح والمفاسد، فهذا الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله - وقد قام الخليفة بتعذيبه ومن يقول بأن القرآن غير مخلوق؛ فضاق الناس والجماهير ذرعا بالحاكم وانزعجوا، فذهبوا إلى أحمد بن حنبل حتى يعطيهم الإذن في الخروج عليه، فقال لهم: «عليكم بالإنكار في قلوبكم، ولا تخلعوا يدا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر» [1] فهدأ الناس وعادوا إلى رشدهم وعلموا أنها فتنة ستزول.

عن أبي الحارث الصائغ قال : «سألت أبا عبد الله أحمد ابن حنبل في أمر حدث ببغداد وهمَّ قوم بالخروج ، فقلت : يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم ؟ فأنكر ذلك عليهم وجعل يقول : سبحان الله الدماء الدماء لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة يُسفك فيها الدماء وتستباح فيها الأموال وتنتهك فيها المحارم أما علِمْتَ ما كان الناس فيه – يعني أيام الفتنة – ؟ قال : قلت : والناس اليوم أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان فإنما هي فتنة خاصة فإذا وقع السيف عمَّت الفتنة وانقطعت السبل، الصبر على هذا خير لك ويسلم لك دينك . قال : ورأيته ينكر الخروج على الأئمة ويقول : الدماء !! ، لا أرى ذلك ولا آمر به.» [2]

8. ثورات عارمة غير مدروسة ولا معروفة التوجه، هي أشبه ما تكون بعربات قطار جنحت عن مسارها ، ودخلت في مناطق السكن الكثيفة، تاركة رأسها وراءها ، فلا يعرف ما تصير إليه الأمور في هذه الأحداث إلا الله عز وجل ، يقول ابن تيمية رحمه الله : « لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته.» [3]

---

(1) انظر : طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (144/1) ترجمة الإمام أحمد، والآداب الشرعية (237/1

(2) رواه الخلال في السنة برقم (89) وإسناده صحيح.

(3) منهاج السنة النبوية: 3 / 390

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه لابنه: « يا بني احفظ عني ما أوصيك به: إمامٌ عدلٌ خيرٌ من مطرٍ وابلٍ، وأسدٌ حطوم خيرٌ من إمام ظلوم، وإمام ظلومٌ غشوم خيرٌ من فتنةٍ تدوم.[1]

فالعلماء الربانيون وحدهم هم من يدرك مخاطر الفتن إذا أقبلت، لذا قيل: "إن الفتنة إذا أقبلت عرفها العقلاء، وإذا أدبرت عرفها الجميع."

وقال البخاري رحمه الله:" بَاب الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ، وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ خَلَفِ بْنِ حَوْشَبٍ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَنْ يَتَمَثَّلُوا بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ عِنْدَ الْفِتَنِ :قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

الْحَرْبُ أَوَّلُ مَا تَـــــكُونُ فَتِيَّةً * تَسْعَى بِزِينَتِهَا لِكـــــلِّ جَهُولِ

حَتَّى إِذَا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرَامُهَا * وَلَّتْ عَجُوزًا غَيْرَ ذَاتِ حَلِيلِ

شَمْطَاءَ يُنْـــكَرُ لَوْنُهَا وَتَغَيَّرَتْ * مَكْرُوهَةً لِلشَّمِّ وَالتَّقْـــــــبِيلِ

(1) الآداب الشرعية 238/1

المطلب الثاني : المنهاج العلاجي، وله أيضا فروع:

لقد سلك الإسلام منهجا حكيما في درء الفتن بعد وقوعها، ومن ذلك .

أولا: الحث على التمسك بالكتاب والسنة.

قال ﷺ :« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي » [1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه: « إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن وحدثت البدع والفجور ووقع الشر بينهم .» [2]

وفي حديث معاذ مرفوعا: « إنها ستكون فتنة، قالوا: وما نصنع يا رسول الله، قال: ترجعون إلى أمركم الأول » [3]

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى: « فكل أنواع الفتن لا سبيل للتخلص منها والنجاة منها إلا بالتفقه في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومعرفة منهج سلف الأمة من الصحابة رضي الله عنه ومن سلك سبيلهم من أئمة الإسلام ودعاة الهدى.» [4]

ثانيا: اعتزال الفتن والفرار منها.

قال البخاري رحمه الله:(بَاب مِنْ الدِّينِ الْفِرَارُ مِنْ الْفِتَنِ) ثم روى حديثا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ.» [5]

وعن أبي بردة قال : دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله ﷺ قال :« إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان كذلك فأتِ بسيفك أُحُداً فاضربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة ، أو منيّة قاضية.» [6]

وعَن الْمِقْدَاد بْن الأَسْوَد قال: وَاللّه لَقَد سَمِعْت رَسُوْل اللّه ﷺ: « إِن السَّعِيْد لَمَن جُنِّب

---

(1) رواه ملك في الموطأ بلاغا، والحاكم بإسناد حسن .

(2) مجموع الفتاوى (310/17)

(3) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (3165)

(4) موقع الشيخ رحمه الله: http://www.binbaz.org.sa/mat/8341

(5) رواه البخاري برقم (19) و (3300) و (7088)

(6) رواه ابن ماجه وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (3216)

الْفِتَن، إِن السَّعِيْد لَمَن جُنِّب الْفِتَن، إِن السَّعِيْد لَمَن جُنِّب الْفِتَن -يُرَدِّدُهَا ثَلاث مَرَّات.» [1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي، من تشرَّف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعذ به .» [2]

وقوله من تشرف لها تستشرفه ، أي : من انتصب إليها وخاض فيها قابلته بشرها وأهلكته وصرعته.

قال النووي رحمه الله تعالى:« معناه: بيان عظيم خطرها والحث على تجنبها والهرب منها ومن التشبث في شيء منها وأن شرها وفتنتها يكون على حسب التعلق بها.» [3]

وهذا الحديث دليل صريح في خطورة ما نشاهده اليوم من إصرار بعض القيادات الدعوية على الدعوة إلى الخروج "لتظاهر سلمي" لا يلبث أن يتحول إلى مواجهات تسفك فيها الدماء ، وتزهق الأرواح ، وتنتهك فيها الحرمات.

وهذا مخالف لتطبيقات الصحابة في وقت الفتن حيث كان أكثرهم يعتزلون الفتن، ولما قتل عثمان رضي الله عنه خرج سلمة بن الأكوع من المدينة إلى الربذة وتزوج هناك امرأة وولدت له أولاداً فلم يزل بالربذة حتى قبل أن يموت بليال نزل المدينة .[4]

وَقَال حُذَيْفَة رضي الله عنه قال:" إِيَّاكُم وَالْفِتَن لا يَشْخَصْ إِلَيْهَا أَحَد، فَوَ اللّه مَا شَخْص فِيْهَا أَحَد إِلا نَسَفَتْه كَمَا يَنْسف السَّيْل الْدِّمَن، إِنَّهَا شُبْهَة مُقْبِلَة، وَتُبَيِّن مُدْبِرَة، فَإِذَا رَأَيْتُمُوْهَا فاجَثَمُوا فِي بُيُوْتِكُم، وَاكَسَرُوْا سُيُوْفِكُم، واَقَطَعُوْا أَوْتَارَكُم.» [5]

ثالثا: وجوب التثبت وقت الفتن.

من المعلوم أن زمان الفتن زمن خطير، يكثر فيه القيل والقال، ويحمل الكلام فيه على غير محامله، ويكثر الجدال، ويحرص فيه على نقل الأخبار، وإشاعة الأقوال، ويتقدم من حقه

---

(1) رواه أبوداود برقم (4263) وسكت عليه وصححه الألباني في تخريج المشكاة برقم (5332)

(2) رواه البخاري برقم (7081) ومسلم (2886)

(3) شرح صحيح مسلم الحديث رقم (2886)

(4) رواه البخاري برقم (7087)

(5) رواه الحاكم برقم (8434) وقال: حديث صحيح الإسناد.

التأخر، وتنطق الرويبضة[1].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }الحجرات6

قال ابن كثير رحمه الله :" يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق، ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا، أو مخطئا، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين." [2]

ولا يخفى خطورة الاستعجال في اتخاذ المواقف والقرارات قبل التثبت، ومشاورة أهل الرأي، هذا في كل وقت وحين، ويتأكد في وقت الفتن لكثرة القيل والقال.

عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « إن الله كره لكم ثلاثا: قيل وقال ، وإضاعة المال، وكثرة السؤال» [3].

رابعا: لزوم جماعة المسلمين.

وهو أمر مهم، وإن كان لازما محتما على المسلم في جميع أحواله إلا أنه وقت الفتن آكد، لما يترتب على ذلك من سلامة للفرد وللأمة من هذه الفتن المضلة.

والمراد بجماعة المسلمين منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، قال شارح الطحاوية رحمهما الله: « السنة طريقة النبي « والجماعة جماعة المسلمين، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، فاتباعهم هدى، وخلافهم ضلال» [4]

ويراد بجماعة المسلمين أيضا إجماعهم على الإمام الأعظم، فإنهم إذا أجمعوا على أمير وجب عليهم طاعته بالمعروف، وعدم الخروج عليه، لما في ذلك من الإخلال بأمن الأمة وسلامة المجتمع، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة وفيرة.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }النساء59

---

(1) الرويبضة هو الرجل التافه يتكلم في أمر العامة.. كما جاء في حديث ابن ماجة، انظر (الصحيحة رقم (3650)

(2) تفسير القرآن العظيم عند تفسير هذه الآية.

(3) رواه البخاري برقم (1477) ومسلم برقم (593)

(4) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص544)

وعن حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قال كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي ... إلى أن قال: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: " تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ ولا إِمَامٌ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ [1].

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: « ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا نترع يدا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.» [2]

خامسا: الإكثار من الدعاء واللجوء إلى الله.

وكان النبي ﷺ يكثر أن يقول: « اللهم أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهديين» [3]

وقال ﷺ : « تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .» [4]

وكان من دعائه ﷺ :« اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .» [5]

وكان من دعاء بعض السلف «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نُفْتَن» [6]

سادسا: الإكثار من العمل الصالح .

قال ﷺ: « بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم.» [7]

عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:« العبادة في الهرج كهجرة إلي » [8] والمراد بالهرج هنا : الفتنة واختلاط أمور الناس ، وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس

---

(1) روه البخاري برقم (3606) ومسلم برقم (1847)

(2) العقيدة الطحاوية ص (775) مع الشرح.

(3) رواه النسائي وصححه الألباني في تخريج المشكاة 2431

(4) رواه مسلم برقم (2867)

(5) رواه الترمذي وحسنه وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (59)

(6) رواه البخاري برقم (7048) ورقم (6593) وهو لابن أبي مليكة.

(7) رواه مسلم برقم (118)

(8) رواه مسلم برقم (2948)

الناس يغفلون عنها ولا يتفرغ لها إلا قليل من الناس، وهذا دليل آخر يؤكد عظمة هذا الدين حيث إنه لم يكتف بتوجيه المسلمين إلى اعتزال الفتن والفرار منها، ولكنه يحثه أيضا على تحويل ما قد يغلب على بعض الفهوم من النظر إلى الجانب السلبي إلى حالة إيجابية يلتزم فيها المسلم تحقيق الهدف الأساس الذي خلق من أجله.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أوصي جميع المسلمين رعاة ورعية حكاما ومحكومين أفرادا وهيئات أن بتحملوا مسئولياتهم في سد ذرائع الفتن ومنافذها كلٌّ حسب موقعه وسلطته،، ويدخل في هذا الإطار:

1 – الحث على لزوم وسطية هذا الدين ، فالتعمق والتنطّع ليس من سمات هذه الشريعة ، كما أن التساهل والتميع ليس من سماتها ، وحقٌ على أهل الإسلام أن يسلكوا مسالك التوسط والتيسير في الأمر كلّه، لكن بلا مداهنة ولا مجاملة ولا مجافاة للحق .

2– تحصين المجمع –خاصة الشباب– ضد والغزو الفكري بالحث على العلم الشرعي ، فالعلم يحصن الشباب من الأفكار الهدامة وينمي إدراكه ويوجهه التوجيه السليم، فالشباب يحمل الكثير من الطاقة والغيرة والحماسة، لكن الغَيرة على الدِّين ، والحماسة لا تكفيان ، ما لم يكونا مؤسَّسين على علمٍ وفقهٍ في دين الله ، ويكونُ ذلك صادِرًا عن علم ، وموضوعاً في محلّه.

ومن هنا ينتظر من الرابطة مضاعفة جهودها في قبول الدارسين في معهد الأئمة بمكة؛ لأن لهؤلاء الخريجين أثرا عظيما في بلدانهم، ودورا كبيرا في مجتمعاتهم شاهدت ذلك بنفسي في أكثر من بلد.

3– تنمية حسّ الممانعة والصمود ، على المستوى الفردي والجماعي ، وذلك بنشر الوعي بمخاطر العولمة، وطبيعتها ومجالاتها وتأثيراتها، وكيف يمكن تطويع بعض مجالاتها لما ينفع.

4–العمل على تفعيل مسؤولية المجتمع في درء الفتن وحفظ هيبة العلماء الربانيين وتمكينهم من مزيد من الحضور والتواصل مع مختلف شرائح المجتمع، فبقدر أهمية العلماء الربانيين وحاجة الأمة إليهم يتبين خطر غياب دورهم أو تغييبه، فإن الثغرة التي هم عليها لا يسدُّها غيرهم، كما أنه يجب على العلماء أن يتقدموا لسدِّ الثغرة، وأن يتولُّوا زمام المبادرة بأنفسهم، وأن يكونوا قريبين من الناس قبل الفتن وفي أثنائها، وأن لا ينتظروا أن تأتيهم الفرص وهم قاعدون، ومتى تأخروا تقدم غيرهم ممن ليس أهلاً لسدِّ مكانهم، إذ لا بدَّ للناس من قادةٍ يرشدونهم ويوجِّهونهم وفي الحديث : «حتى إذا لم يجد الناس عالماً اتخذوا رؤوساً جهالاً

فسألوهم فأفتوهم بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا» [1]

5 - وعلى وسائل الإعلام على اختلافها مسؤولية كبيرة في هذا الجانب، فإن بعض هذه الوسائل تقود حربا شرسة على أهل العلم بهدف التقليل من شأنهم ، وتضخيم الأخطاء التي قد تقع منهم ، وهم فيها مأجورون ، أو بالتشنيع على اجتهاداتهم الفقهية التي لا تروق لبعض القائمين على هذه الوسائل .

وأخيرا : أسأل المولى العلي القدير أن يعظم للقائمين على رابطة العالم الإسلامي أجرا،، وأن يحفظ بلاد الحرمين الشريفين بحفظه الخاص تحت ظلال وارفة من الأمن والأمان والإيمان والاستقرار.

والحمد لله رب العالمين

وكتب/ أ.د. محمد أحمد لوح

عميد الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية

في السنغال

(1) رواه البخاري برقم (100) ومسلم برقم (2673)